فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "رمضان قرب يلا نقرب ٣"
واسوأتاه
(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: د.خالد حداد

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-132313.htm

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهدهِ الله تعالى فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ثم أما بعد،

الحياء من الإيمان فمن فقد الحياء فقد جزء من إيمانه

لهذا الكون خالقٌ حكيم، خالقٌ حكيم لما خلق الخلق؛ خلقَ لهم ما يُقيتهم ويمدهم به وجعل لهم إيمانًا يتزلفون به ويتقربون به إليه، الله –عز وجل– لَّما علِمَ ضعف القلوب وقُرب ملالتها نوَّعَ الإيمان، فكان الإيمان بضعٌ وسبعون شُعبة، قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم–: " الإيمانُ بِضْعٌ وسبعونَ أو بِضْعٌ وستُّونَ شُعبةً . فأفضلُها قول لا إلهَ إلَّا اللهُ. وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريقِ. والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ" صحيح مسلم، الحياء شُعبة من الإيمان، لماذا خصص النبي –صلَّى الله عليه وسلم– هذه الخصيصة للحياء؟ فنفهم من لا إله لا الله أنها أعلى الغايات التي يجب أن ترتفع إليها هِمم المؤمنين لتبلُغ الذروة العُلى. أو إماطة الأذى عن الطريق هي مستوى الحد الإيماني الأدنى للإيمان الذي يجب ألا يُتجاوز. ولكن ما هو خصيصة تخصيص الحياء، والحياءُ شُعبة من الإيمان، لو كان توقف النبي –صلَّى الله عليه وسلم– وقال: إماطة الأذى عن الطريق شُعبة لكان تم الكلام وانتهى وأفاد معنًى مفيدًا، ولكن لما خصصه النبي –صلَّى الله عليه وسلم– علمنا أن ذلك لحكمة رجل لا ينطق عن الهوى.

الحياة خُلُق في أعماق المؤمنين و ليس مجرد شكلًا

النبي –صلَّى الله عليه وسلم– لما خصَّ الحياء، خصَّ الحياء لأن كثيرًا من الأُمم ضاع منها الحياء، وخاف على أُمته أن يضيع منها الحياء، بل بعض الأُمم يتصنعُ الحياء لدُنياه، يعني أقصى شعوب الأرض شعوب شرق آسيا أحفاد التتار والمغول وتحديدًا في اليابان، ويل ديورانت يقول عنهم يقول: بلغوا حد التوحش في المعاملة! والآن تجدهم أفضل الناس في المعاملة وفن الاستقبال والضيف ووو ولكن لفعله، لتجارته. هذا الشخص الذي يُعاملك بقناع هو ذات الشخص المحتكر، هو ذات الشخص الذي يُضاربُ بالربا، هو هو هو هو، فالحياء بالنسبة له صورة، أما إيمانُنا مختلف. إيمانُنا

يرسُخُ في أعماقِ قلب المؤمنين ثم يظهر على صورهم. قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم–: " إنَّ اللَّهَ لا ينظرُ إلى صورِكُم وأموالِكُم ، ولَكِن ينظرُ إلى قلوبِكُم وأعمالِكُم" صحيح مسلم.

الحياء من نظر الله أمر نفتقده في زمننا هذا

الحياء خُلُق، الخُلُق كله كله إيمان، وليس معاملات، وليس كلمات، ليس أفعال سلوكية. إيمان؛ إيمان يُفعل. تجد أن الفقير الذي ينضوي قلبه على أن يريد أن يُكرم، يُكرم جاره وهو لا يستطيع هو مؤمن. الشجاع الذي لا يستطيع جهاد العدو ولا يملك ما يفعله مؤمن. الصبور الذي يصبر عند فتور الناس وتخليهم في أوقات التخلي مؤمن. الغضوب الذي يغضب لحرمات الله –عز وجل– ولا يملك المنعَ مؤمن. كل هذا خُلُق ولكن الحياء من وسط الأخلاق تحديدًا لم يذكر النبي الرحمة ولا الكرم، ولا العطف، ولا الجود، فالرحمة تُستخرج في وقت الرحمة والشجاعة تنطلق عندما يدعو النفير، والصبر عندما يستفزك أحد بحماقته. ولكن الحياء هو أخفى الخفاء. الحياء يرسُخُ في القلوب، يظل عميقًا في أغوار النفس لا يبدو ولا ينكشف. لما أكل آدم من الشجرة بدت لهم سوءته، وقال الله –عز وجل–:" وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ "طه: ١٢١، وكان آدم عليه السلام رجلًا جسيمًا له شعر طوال فجعل يجري في الجنة ويجري فعلُق شعره بأصل نخلة فتوقف، فناداه ربه من فوقه، قال له: "يا آدم، يا آدم أمني تفر؟ قال: لا يا رب ولكن حياءً وخجلًا منك. أنا مكسوف منك.

استحى من ربه فتاب إليه

أحيانًا لما الواحد بيذنب ذنب وبعد ما يخلص الذنب، وتذهب اللذات وتبقى التبعات، يظل ينظر لنفسه إزاي أنا عملت ده؟ إزاي أنا يصدر مني كده؟ هل هذا جزاء الإحسان الذي مَنَّ الله –عز وجل– عليَّ به؟ هل هذا هو الإنعام الذي تفضل الله –عز وجل– به عليَّ؟ لقد استقامت كل الشرائع من عند الله، كل النبيين أَتوا بدين الحياء، قال رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم–: " إنَّ ممَّا أدرَكَ النَّاسُ من كلامِ النبوَّة الأولى: إذا لم تستَحِ فاصنَعْ ما شئتَ" صحيح البخاري، فاصنع ما شئت.

مرَّ شُعبة بن الحجاج يومًا في السوق فازدحم عليه الناس، وكان رجلٌ يُدعى عبد الله بن قعلب القعلبي وكان لصاً قاطع طريق، فلما وجد الناس قد اجتمعوا على شُعبة بن الحجاج وكان أمير المؤمنين في الحديث، فسأل من هذا؟ قالوا: هذا شُعبة، شُعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث، فذهب إليه فلما نظر إليه قال له: حدثني، فنظر إليه شُعبة وكان صاحب أنفة قال: لست من أهل الحديث كي أُحدِثُك. فأخرج سكينه ووضعها على رقبة شُعبة وقال له: إن لم تُحدثني جرحتك، فقال شُعبة: حدثنا فلان حدثنا فلان حدثنا فلان أخبرنا فلان حدثنا عبدالله بن مسعود أن رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم– يقول" إنَّ ممَّا أدرَكَ النَّاسُ من كلامِ النبوَّة الأولى: إذا لم تستَحِ فاصنَعْ ما شئتَ" صحيح البخاري، فوقع منه سكينه وبكى، وهام على وجهه في الأرض، ثم ذهب إلى مدينة رسول الله وتاب وأناب وعاد إلى ربه وطلب

الحديث، فكان شيخ البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود، الستة ما عدا ابن ماجة، عبد الله بن قعلب القعلبي لأنه استحيا من ربه.

شده حياة السلف رضي الله عنهم فأين نحن منهم؟

كان الفضيل بن عياض رحمه الله في موقف الحَج والناس كلهم يجأرون إلى الله ويرفعون أيديهم إلى الله –عز وجل– وهو لا يدعو، فقيل له: لِمَ لا تدعو؟ فيقول: ثَمَ وحشة. لِمَ لا تدعو؟ فيقول: ثَمَ وحشة. لِمَ لا تدعو؟ فيقول: ثَمَ وحشة. فلما آذنت الشمس للغروب ذرفت عيناه وقال: واسوأتاه منك وإن عفوت، واسوأتاه منك وإن عفوت.

كان الأسود بن يزيد يجتهد في عبادته ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما حضره الموت بكى، فقالوا له: لِمَ هذا الجزع؟ قال:ومالي لا أجزع؟ ومَن مثلي حُقَ له أن يجزع؟ إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيسامحه عليه فيكون له مستحيًا، فكيف بي أنا وأنا صاحب الذنوب العِظام! وأنا صاحب الذنوب العِظام! الحياء من الله –سبحانه وتعالى–. محمد بن سيرين –رحمه الله– كان يقول: والله ما غشيت امرأةً في يقظتي ولا في منامي إلا أم عبد الله، وإني لأرى المرأةَ في منامي فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف عينَيّ عنها، أنا بشوفها كده قدامي وأنا نايم، وأنا نايم أصرف عينَيّ عنها، لذا قال بعضهم: " ليت لي عقلًا في يقظته مثل عقل محمد بن سيرين في نومه "، وأنشد أحدهم شعرًا في ذلك يقول:

يقظته ومنامه شرعٌ *** كلٌ بكلٍ فهو مشتبه.

إن هَمَّ في حلمٍ بفاحشةٍ *** زجرته عفته فينتبه.

الحياء حياة القلب

القلب حياته حياؤه، كما أن الغرس حياتُه ماؤه، فحياة القلب حياؤه.كَم من موقف خزيٍ لم يخطر لك على بال ستلقاه يوم القيامة بين يَديّ الله. سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: "إني لأعلم أقوامًا يسقط لحم وجوههم خجلًا من الله يوم القيامة، ويصيحوا بزبانية جهنم خذونا إلى النار ولا تأخذونا إلى الله العزيز الجبار".

إخواني، هذا أوان الحياء، هذا أوان الحياء، هذا زمان القرب، كان أبو عبد الله الأنطاكي بيقول: "أي بُني اتركوا باطل الإثم كله. فقالوا: لم باطنه؟ قال: يا بنيَّ إن من ترك باطن الإثم كان لظاهره أترك" كان لظاهره أترك، إنما عُرفت بالله، إنما عُرفت وأُكرمت بالله، فاستحي منه، فاستحي منه، لا تكن في السر إبليس وفي العلنِ قِديس كما يقولون، استحِ من الله عز وجل حق الحياء، حق الحياء، حق الحياء فإنك يومًا قادمٌ عليه ومُلاقيه.

نسأل الله –عز وجل– أن يُقسم لنا من خشيته ما يحول به بيننا وبين معاصيه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:
http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36